التشوف الى رجال التصوف

يعد كتاب التشوف لابن الزيات المتوفى سنة 627، من اهم المراجع المغربية المتصلة بتراجم رجالات المغرب، منذ القرن الخامس حتى اوائل السابع، كما ياتي .

والكتاب وان كان في عنوانه يحدد موضوعه بتراجم المتصوفة، الا انه في المقدمة يعلن عن المقصود بهم «من افاضل العلماء والفقهاء والعباد والزهاد والورعين وغير ذلك من ضروب اهل الفضل» كما انه يذكر من هؤلاء «من كان بحضرة مراكش من الصالحين ومن قدمها من اكابر الفضلاء ... ومن كان من اعمالها وما اتصل بها من اهل.. العدوة.. ومن قدم مراكش وما اتصل بها وان كان من غيرها، اذا كان مماته بها، ومن هو من اهل.. العدوة وان كان مماته بغيرها» ثم ينص كذلك على انه لم يتعرض فيه لاحد من الاحياء على عهده، وانه شرع في تصنيف هذا الكتاب سنة 617 واخيرا يذكر انه فرغ منه في نفس السنة...

هذه الخطوط كلها مهمة، اذ تجعنا نفهم المقصود من التاليف، وبذلك لا نضل في الحكم استنادا عليه، واستنتاجا منه، يعني ان الكتاب لا يعطينا صورة كاملة، او قريبة من الكمال، عن رجال الفكر بالمغرب، الى ذلك العهد، فهو تقريبا نواة لكتاب الاعلام، المركز حول مراكش واغمات، مع اختلاف بسيط في الوجهة والزمان ...

ومهما يكن فقد حفظ لنا المؤلف كثيرا من تراجم الرجال، ومنهم كثير اختص بذكره. الا انه مع الاسف لم يذكر لرجال المغرب آثارا ادبية الا في النادر، كابن عطاء المعروف بابن العريف الصنهاجي الطنجي ثم الالمري ولعل المؤلف لم يعثر لغيره على هذه الآثار، ولعل ابن العريف حفظ له ما حفظ لمكوثه بالمرية، وتناول الاندلسيين له بالترجمة، مثل ابن بشكوال ... كما يوخذ على المؤلف انه لم يذكر من البارزين الذين توفرت فيهم شروط الذكر، مثل القاضي عياض .

لماذا ؟ هل للسياسة دخل في ذلك ؟ لا ندري...

من الفوائد التي تستفاد من الكتاب، واتت عرضا فيه، مسالة اثير حولها النقاش اخيرا، وتلك مسالة تسمية المرابطين، فالمؤلف في بساطة، يذكر ان هذه التسمية حدثت من واجاج (تلميذ ابي عمران الفاسي، والذي كتب اليه يوصيه بيحيى بن ابراهيم الجدالي، فانتدب هذا من تلاميذه الذين سماهم بالمرابطين عبد الله بن ياسين) يقول المؤلف ما نصه : «رحل الى

القيروان فاخذ عن ابي عمران الفاسي، ثم عاد الى السوس، فبنى دارا سماها بدار المرابطين، لطلبة العلم وقراء القرآن، وكان المصامدة يزورونه ويتبركون بدعائه .

هكذا نشات التسمية، ثم تسلسلت في مدلولها واعيان رجالها، وهي تسمية وضعت لتشمل عبد الله بن ياسين الطالب، ولم يضعها عبد الله بن ياسين، الزعيم الخطير، ولا من اتى بعده، الا على سبيل الاستعارة من من واجاج...

واخيرا، نشكر للاستاذ فور، عمله الشاق، واخلاصه الفذ، اللذين تناول بهما هذا الكتاب فاخرجه ممتازا من بين مطبوعات معهد الابحاث العليا المغربية ونعني بذلك على الخصوص تحقيق النص وخلوصه من الاخطاء الطباعية الا ما ند منها وفي قلة لا تتجاوز عدد الانامل، فلعل الناشرين، وتحن منهم يقتدون به، ويخلصون العربية من وصمة طباعتها، التي كانت تنفرد بها...